١٩

الإحالة في" دعاء يستشير" وأثرها في التماسك النَّصي

Referral in a supplication and its effect on textual coherence

م. م مريم كاظم مجبل

morimene@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص

لقد نحت الدراسة منحى أوضحت فيه جانبًا مهمًا من جوانب التماسك النصّي وهي " الإحالة" و بدورها واحدة من الوسائل المهمة في ربط النص بشكل فعال ، و تستخدم العناصر الإشارية والإحالية ، فهي مع روابطها تشكل دوراً مهمًا في إنتاج نصًا متماسكًا بحسب ما يراه اللغويون في علم النص. فالإحالة في جميع النصوص تنطلق من الوحدة الاتساقية التي وضعها علماء النص ونادوا بها فلا يوجد نصًا تغيب فيه العناصر الإحالية ، لأنها الهيكل الأساس الذي تُبنى عليه جميع النصوص لذلك فقد ربطت الإحالة بكل اقسامها بين أجزاء النصوص التي وردت في الدعاء لأنها لا تكتنفها ألفاظ داخل النص فحسب ،وانما تمتد كذلك إلى خارجه وقد خلفت علاقة تواصلية وطيدة بين نصوص الدعاء، وبين المتلقي وهي بدورها قد اختزلت الكثير من الأحداث التي شهدتها نصوص الدعاء بالضمائر واسماء الإشارة والاسماء الموصولة... وغيرها .

لذلك فهي من أكثر وسائل الاتساق والتماسك تواردًا وشيوعًا على الألسنة من أجل الاقتصاد في الكلام والعزوف عن التكرار لأنها تقلل من الكثرة في الألفاظ وتؤدي معاني لا يدلّ معها اللفظ الكثير ، لذا فقد تمثلت الإحالة بكل أنواعها في الدعاء.

الكلمات المفتاحية

الدعاء، معنى يستشير، تسمية وسند الدعاء، مفهوم الإحالة، وسائل الإحالة.

Abstract

The study has taken an approach in which it clarified an important aspect of textual cohesion, which is "reference", and in turn it is one of the important means of linking the text effectively, and uses the indicative and referential elements, and with their links they play an important role in producing a coherent text according to what linguists see in text science The reference in all texts stems from the coherent unity that

text scholars have established and called for, and there is no text in which the referential elements are absent, because it is the basic structure on which all texts are built. Therefore, the reference in all its sections has linked the parts of the texts that were mentioned in the supplication because it is not surrounded by words within the text only, but also extends outside it, and it has left a strong communicative relationship between the texts of the supplication and the recipient, and it in turn has abbreviated many of the events witnessed by the texts of the supplication with pronouns, demonstrative pronouns, relative pronouns... and others

Therefore, it is one of the most common and frequent means of consistency and coherence on tongues in order to economize on speech and refrain from repetition because it reduces the abundance of words and conveys meanings that the word does not indicate a lot, so the referral in all its types was represented in supplication.

Keywords

Supplication, meaning of consulting, naming and support of supplication, concept of referral, means of referral..

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين الذي جعلَ الحمدَ ثمنًا لنعمائه، ومعاذًا من بلائه، وسبيلاً إلى جنانه والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين ، نبينًا وحبيب قلوبًنا محمّد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد...

لقد مثل الدعاء بوصفه وسيلية مهمة من وسائل ارتباط العبد مع ربه ، وكذلك حلقة وصل وطيدة، فهو يوضح حاجة الأنسان وافتقاره وانكساره وضعفه وشدة حاجته إلى الله عز وجل، فصار الدعاء ضمن المنهج العبادي الذي يلجأ إليه العبد ، وقد أصبحت هذه الأدعية مثالًا يحتذى به ويقاس عليه وورداً يتبعد بها وتردد في كل المجالس وكل العبادات التي يدخل من ضمنها الدعاء نحو" الصلاة وغيرها" فهي نصوص متماسكة ومتلاحمة يفسر بعضها بعضًا، لذلك نجد العديد من المحاولات التي توجهت لدراسة الأدعية الواردة في الكتب التي أفرد لها أهل البيت "عليهم السلام" ومن هنا فقد أصبحت الحاجة ضرورية لدراسة الأدعية التي وردت في مجلات مختلفة ، وكان دعاء "يستشير" واحدًا من الأدعية التي أوردها ابن طاووس في كتابه" مهج الدعوات ومنهج العبادات" وسماه دعاء علي" عليه السلام" علمه لسمان فلم يذكر ابن طاووس اسمًا لهذا الدعاء لكن المحدث الشيخ عباس القمي في مفاتيح الجنان ذكر له عنوانًا مقتبسًا من عبارة " ولا خلق من عباده يستشير " وفي بعض الكتب الاخرى أطلق عليه دعاء الأمام علي " عليه السلام" نحو كتاب البلد الأمين للكفعمي .

وكان دعاء" يستشير" واحدًا من الأدعية التي أخترتها كأنموذجً لدراسة بحثي الموسوم ب" الإحالة في دعاء يستشير" واثرها في التماسك النصّي " وتهدف هذه الدراسة إلى رصد ظاهرة لغوية نصية مهمة وهي" الإحالة" وهي أحدى أدوات الربط التي تحقق تماسكًا نصيًا ملحوظًا بين أجزاء النص لأنها استطاعت أن تمزج بين أنواع متعددة من أدوات الربط نحو استخدام " الضمائر واسماء الإشارة والاسماء الموصلة ... وغيرها " وقد اتبعتُ في دراسة هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم على مقدمة تطرقت فيها إلى شرح ميسر عن الدعاء ، وصلة العبد مع الله سبحانه وتعالى ، ثم تطرقت إلى معنى الدعاء عند علماء اللغة وكذلك في الاصطلاح ، ثم ذكرت معنى يستشير وسنده وتسميته وسبب تسميته، ثم عرجت بالحديث عن موضوع البحث وهي الإحالة التي وردت في هذا الدعاء وذكرت وسائلها وعناصرها وأنواعها ووسائلها ، ثم ختمتُ البحث بخاتمة أوضحت فيها ابرز النتائج التي توصلت إليها .

واخر دعونا أن الحمد لله ربَّ العالمين الهادي إلى كل صواب، والمسدد للخطى، ونسألهُ أن يُوفقنا لكل ما فيه الخير والصلاح ومن الله السداد والتوفيق.

الدعاء عند أهل اللغة : هو الرغبة في التوجه إلى الله تعالى يقال: دعاه دعاء ودعوى، والدعاء هو واحد من الأدعية وأصله دُعاو من دعوت، إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت، ويقال: دعا الرجل دعوًا وعاءً ناداه والاسم الدعوة ، ودعوت فلانًا أي صحت به واستدعيته... (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، ٢٠٠٠، صفحة ٢٥٨/١٤)

أما في الاصطلاح: هو رغبة الإنسان إلى الله فيما عنده من الخير والابتهال إليه بالسؤال، وهو طلب ما ينفع الداعي وكشف ما يضره أو دفعه ... (أبي عبد الله محمد بن ابي بكر الدمشقي، صفحة ٢/٣).

- **معنى يستشير**

عندما نقف عند عنوان هذا الدعاء نجده عنوانًا يلفت النظر من حيث كونه فعلاً مضارعاً خلافاً لما هو مألوف في الادعية وعناوينها.

لذلك فأن قارئ الدعاء قد يندهش من عنوان الدعاء وذلك لسببين احدهما : هو صياغتهِ فعلاً مضارعاً وهو يستشير وثانياً: مضمونه المرتبط بالاستشارة

لأن القارئ للأدعية بعامة يجد بعضها مشيراً الى مضمونه نحو: "دعاء المشلول "حيث خصص لمن اصابه الشلل مثلاً وبعض الادعية تشير الى عدد فقراتها المقروءة مثل دعاء العشرات حيث يتضمن فقرات تقرأ بهذا العدد أي عشر مرات وبعضها يتضمن اسماً لزمن قراءته مثل دعاء الصباح وبعضها لمن عُلِّمَ الدعاء نحو" دعاء كميل" حيث علَّمه الامام علي(ع) لكميل ابن زياد رضوان الله عليه . إما دعاء "يستشير " يستوقفنا سبب تسميته من جانب وسبب صياغته فعلاً مضارعاً من جانب آخر.

أما تسميته فهي مرتبطة بمفهوم الاستشارة ،لأن الفقرة الثانية من الدعاء تكشف اولاً سبب التسمية يقول الدعاء (الحمد لله الذي لا اله الا هو الملك الحق المبين المدبر بلا وزير ولا خلق من عباده يستشير) فهذه العبارة توضح له بان الله تعالى هو ملك ولكنه لا وزير له .

ويعود سبب صياغة عنوان الدعاء بصيغة المضارع من الافعال وهو "يستشير" وذلك لأن الفعل المضارع يتسم بكونه فعلاً استمرارياً لا يقف عند الماضي ولا المستقبل بل الحاضر وما قبله وما بعده من هنا فان الديمومة والاستمرارية لملك الله تعالى وادارته أوضحت لنا معنى صياغة العنوان بفعله المضارع.

اما سند الدعاء فقد ذكر الشيخ عباس القمي في كتاب مفاتيح الجنان: إن السيد ابن طاووس أورد في مهج الدعوات أن الإمام علي (ع) روى عن النبي (ص) أنّه علّمه دعاء يستشير، وأمره أن يدعو بها لكل شدة ورخاء، وأن يعلمه من بعده، وأن لا يتركه في حياته حتى يلقى الله تعالى، وتابع الإمام علي (ع) نقلا عن الرسول الأكرم (ص) أنه قال له: يا علي قل هذا الدعاء حين تُصبح، وتُمسي؛ فإنّه كنز من كنوز العرش (الشيخ عباس القمي، صفحة ١٢٢).

وجاء في سبب تسمية الدعاء انه لم يذكر السيد ابن طاووس اسما لهذا الدعاء (ابن طاووس علي بن موسى، ١٤١١، الصفحات ١٢٢- ١٢٤)، لكن الشيخ القمي في مفاتيح الجنان ذكره تحت عنوان يستشير، وورد أن اسم الدعاء مقتبس من المقاطع الأولى لهذا الدعاء وهي عبارة «وَلا خَلْقٍ مِنْ عِبادِهِ يسْتَشيرُ» وفي بعض إصدارات مهج الدعوات ذكر اسم دعاء تحت عنوان "دعاء علي علّمه لسلمان (ابن طاووس علي بن موسى، ١٤١١، صفحة ١٥٦).

مفهوم الإحالة :

أن تحديد مفهوم الإحالة في الكلام من القضايا التي شغلت كل من اهتم بالنشاط اللغوي عند الإنسان ، وكذلك شغلت كل من أهتم بالنشاط الفكري بمختلف فروعهم لذا كان لابدَ من تسليط الضوء على هذا المفهوم اولًا ثم التعريج على مفهوم الدعاء وسنده، وسبب تسميته

فالمفهوم اللغوي: جاء في معجم مقاييس اللغة :الحاء والواو اللام أصل واحد وهو تحرك في دورٍ... ويُقال حال الرجلُ في متن فرسه يَحُول حَولا وحُؤُولا إذا وثبَ عليه ، وأحال أيضًا وحال الشخصُ يحُول إذا تحرك. (زكريا، صفحة ٢/ ١٢١)، وجاء في لسان العرب أن المحال من الكلام ما عدل به عن وجهه وحوله جعله محالا وأحال وأتى بمحال ، ورجلٍ محوال كثير الكلام... ويقول أحلتُ الكلام أحليه إحالة إذا أفسدته وروى ابن شميل عن الخليل ابن احمد :

المحال الكلام لغير شيء والحوال: كل شيء بين اثنين حال الرجل يحول تحول من موضع إلى موضع ، الجوهري حال إلى مكان (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، ٢٠٠٠، صفحة ٤/ ٢٧٥)

الإحالة في الاصطلاح

إن تحديد مفهوم الإحالة في الكلام من القضايا التي شغلت كل من أهتم بالنشاط الفكري عند الإنسان وكذلك كل من أهتم كذلك بالنشاط اللغوي بمختلف فروعهم ، لذا لا بدَ لنا من تسليط الضوء على هذا المفهوم اولًا ثم ذكر ما يتعلق بالدعاء من مفهوم ومعنى وسند.... لذلك فالإحالة تلعب دورًا مهماً في سبك النص فهي من أهم وسائل الربط النحوي والدلالي وأكثرها شيوعًا وتداولاً في دراسات المتخصصين بعلم النص ، فهي مصطلح قديم لكنها بمفهوم استعمالها والتوسع فيها مصطلح جديد، فقد عرفت بمصطلح العوَد، جاء في شرح الرضي: قولهم في:" ضرب غلامه زيدٌ، لابد من متقدم يرجع إليه هذا الضمير تقدمًا لفظيًا أو معنويًا، وهو راجع إلى (زيد) وهو متأخر لفظًا" (رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، ١٩٩٦، صفحة ٢/ ٤٠٤) فقد قال يول وبروان(نقلا عن لاينز) " إن العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات، هي علاقة إحالة، فهي تحيل إلى المسميات" (بروان وبول، ١٩٩٧، صفحة ٣٦) بينما أشار دي بوجراند إلى "أنها علاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات من جهة آخرى" (بوجراند، ١٤١٨- ٢٠٠٩، صفحة ١٧٢)

عناصر الإحالة

الإحالة أداة مثلى من أدوات التّواصل، لذا ف(فالنظرة الفلسفية إلى الإحالة تدخل في نطاق فلسفة التّواصل، إذ لا يُنظر إليها (الإحالة)على أنّها علاقة بين مجموعةٍ من العناصر اللغوية حسب، بل ينظر إليها بوصفها أداة من أدوات التواصل تربط دلاليًا مع ما في العالم الخارجي من الأشياء) (بروان وبول، ١٩٩٧، صفحة ٣٦) لذلك فقد تضمنت الإحالة عدة عناصر بحسب ما أورده جمهرة من اللسانيين وهي على النحو الآتي:

١) المتكلم أو المخاطب أو الكاتب مع قصديته : أن الإحالة هي التي تكشف عن القدرة المتولدة لدى المتكلم وتصوراته للمعاني والأشياء، ومدى تأثره بالموقف اثناء القاء الخطاب الحامل للإحالة،(فالكاتب هنا مختبئ وراء النّص وهو الذي يحرك كلّ كلمة وكل دلالةٍ بقصد) (د أحمد عفيفي، ٢٠٠١، صفحة ١٦)
٢) المتلقي (السامع أو القارئ): هنا تكون العملية التواصلية مشتركة بين المنشئ والمتلقي وذلك لأن المنشئ عندما ينتج مقطعًا خطابيًا، فأن ذلك سيكون مبنيًا على تصوره الخاص لحال من الأحوال، أما القارئ " المستمع" فهو يسعى

اثناء تلقيه للخطاب أن يكون لديه تصور للوضع الذي أبلغه عنه المتكلم. (بروان وبول، ١٩٩٧، صفحة ٢٤٧)

٣) اللفظ المحيل (العنصر الإحالي): فقد سماه هاليدي(أداة) (نائل محمدإسماعيل، ٢٠١١، صفحة ١٠٦٧) وسماه روبرت دي بوجراند(الألفاظ الكنائية) (بوجراند، ١٤١٨- ٢٠٠٩، صفحة ٣٣٠) وأيضًا ما سماه الأزهر الزناد تسميه" العناصر الإحالية" وعدها من المعوضات ،وعّرفه بأنّه" قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء النّص من الخطاب، فشرط وجودها هو النص وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما، وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر" (الأزهر الزناد، ١٩٩٣، صفحة ١١٨).

٤) المُحال إليه (العنصر الإشاري): هو عبارة عن كلمات أو دلالات أو عبارات قد تكون موجودة داخل النص أو خارجه حيث يتمكن المتلقي من معرفة النص وفهمه والوصول إلى المحال إليه. (د أحمد عفيفي، ٢٠٠١، صفحة ١٦).

٥) العلاقة بين المحيل والمحال إليه: العلاقة بين المحيل والمحال إليه تصنع الترابط في النصّ لأنّ هذه الصلة لاتقف عند المطابقة المنطقية بين اللفظ المحيل والمحال إليه بل تتخطى هذا القيد؛ لأنها صلةٌ نابعة من الفكرة الكامنة في ذهن المتكلم، التي تقدر لكل بنيةٍ مقامها وموضعها وطبيعتها في توظيف متقن ومتكاملٍ لها. (الشهري، ٢٠٠٤، صفحة ٥٢) .

أنواع الإحالة

تنقسم الإحالة على قسمين رئيسين: خارجي "خارج النص" ويسمى إحالة مقامية ، وداخلي" داخل النص" ويسمى إحالة نصية. وبصرف النظر عن نوع الإحالة فأن كل العناصر تمتلك خاصية الإحالة والاستعمال وحده هو الذي يحدد نوعها وأساس كل حالة من حالات الإحالة وهو وجود عنصر مفترض ينبغي أن يستجاب له، وكذلك تعرف المحال إليه في مكان ما" (محمد حطابي، ٢٠٠٦، صفحة ١٧)

أولاً: الإحالة الداخلية أو النصية : هي إحالة تأتي في النص سواء كانت سابقة أو لاحقة وهي بدورها تنقسم إلى قسمين:

الإحالة على السابق أو الإحالة بالعودة " قبلية": وتعود فيها جملة اسبق أو على مفسر سبق التلفظ به في الجملة السابقة، وهي الأكثر شيوعًا" (الأزهر الزناد، ١٩٩٣، صفحة ١١٩)

الإحالة على اللاحق(البعدية): "وهي التي يشير فيها المحيل إلى عنصر اشاري بعده في النص ولاحق عليه أي ما بعده يفسره" (الأزهر الزناد، ١٩٩٣، صفحة ١١٩)

ثانيًا: الإحالة الخارجية أو المقامية: هي إحالة اشياء وموجودات خارج النص، وهي ضرورية ليكون النص منسجمًا مع مقامه ومن ثمّ تحقق له المقبولية (الصبيحي، صفحة ٨٩)

وسائل الإحالة

بعد ذكر الاحالة وانواها وعناصرها وكيف تتم وظيفتها بوساطة ألفاظ بديلة أو كنائية أو وسائل وروابط إحالية كما يصطلح عليها وقد أطلق عليها أدوات (الهام أو غزالة وعلي خليل، ١٩٩٢، صفحة ٩٢) وهذه الوسائل هي:

الضمير

تعد الضمائر من أكثر وسائل الإحالة شيوعًا وأهمها في سبك النصّ وترابطه وقد أشار إليه العلماء قديمًا وحديثًا في دراسات عديدة فالضمير هو " ما وضع لمتكلم ، أو مخاطب أو غائب، تقدم ذكره لفظًا أو معنىً، أو حكمًا" (رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، ١٩٩٦، صفحة ٢/ ٤٠٠) في عبارة عن أنظمة من الربط الشكلي والدلالي في العربية، ولا يكاد يحلو أي نص منها مهما كان قصيرًا أو طويلاً ومن هنا اكتسبت أهميتها، لأنّ الأنسان يحسُّ بصعوبةٍ عندما يكف عن ذكر تفاصيل الأشياء التي يتحدث عنها، أو يعد ما مضى ذكره في مقام آخر. (أ ميلو نزار، ٢٠٠٩، صفحة ١٠) .

وتنقسم الضمائر إلى ضمائر وجودية " أنا ، نحن، أنتم ،هو ، هي..." للجمع والمفرد والمذكر والمؤنث، وإلى ضمائر ملكية نحو" كتابي، كتابكَ، كتابِ" ، أما من وجهة نظر علماء النص فأنها صنفت إلى ضمائر التكلم المشيرة إلى المتكلم، والمخاطب المشيرة إلى المخاطب، وهما عنصران موجودان خارج النص أي هما غير مذكورين لفظًا داخل النص، وبالتالي تكون إحالتهما مقامية تسهم في تحقيق التواصل بين المتلقي والنص والمشاركين فيه، أما ضمائر الغائب فهي التي تؤدي دورًا مهمًا في ترابط النص (محمد حطابي، ٢٠٠٦، صفحة ١٨).

وهناك أيضًا الضمير البارز والضمير المستتر، فلأول يلزم المتكلم بإبرازه لفظًا وصوتًا، أي قرينة لفظية، أما المستتر فيدرك بالعقل ومن ثمّ يمثل قرينة معنوية (مصطفى حميدة، ١٩٩٧، صفحة ١٥٥). ومن هذه الضمائر التي وردت في الدعاء نحو قوله:

الإحالة بالضمير المنفصل: غالبًا ما تكون الإحالة الضميرية محالة إلى معين ظاهر أو غير ظاهرومن الضمائر المنفصلة التي ورددت في الدعاء فهي على النحو الآتي:

ـ ضمائر المتكلم

وقد ورد ضمير الرفع الدال على المتكلم في قوله "أَنا أَشْهَدُ بِأَنَّكَ أَنْتَ الله لا رافِعَ لِما وَضَعْتَ وَلا واضِعَ لِما رَفَعْتَ"

قد جاء ضمير الرفع المتكلم "انا "ليدل على إحالة خارجية مقامية، فقد أشار الضمير إلى ذات المتكلم وهو الرسول "صلّىَ الله عليه واله وسلم" وأن الضمير الوجودي في الغالب يشير إلى خارج النص، مما يؤدي إلى تماسك النص وانسجامه من خلال ربط النص بسببه وخارجه ففي هذا النص اقرار بالشهادة بضمير المتكلم بأن الله وحده قادر على رفع ووضع كل شيء لأن الله عزو جل اذا حكم على شخصية الأنسان بالوضاعة حينئذ لا قيمة لرأي الناس فالرفيع هو ما رفعه الله والوضيع هو ما وضعه فلا ينفع الأن نظر الناس اليها اذا كانوا يعتبرونها رفيعة فالرفيع هو ما رفعه الله والوضيع ما وضعه الله تعالى وهذا هو المعيار الاسلامي في سمات الشخصية الرفيعة او الوضيعة. فقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى" {وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ} (آل عمران: ٢٦) فالقرآن الكريم يرى أن العزة والذلة - كما هو حال سائر شؤون عالم الأماكن هما في يد الله تعالى وهذا هي الحقيقة التي أكد عليها القرآن الكريم فالأنسان وما يحمله من نفسٍ قد تكون ذليلة في نظره تعالى بسبب معصيتها ولكنها عزيزة في نظر الناس، لذلك لا قيمة البتة لنظر الناس بالنسبة الى حكمهم عليها بالعز والعكس هو الصحيح ايضاً أي ان الله تعالى اعز المؤمن بسبب طاعته لله تعالى فان نظر الاخرون اليه ذليلاً لا قيمة للنظر الاخير أي نظر الناس فالعز او الذل هو ما يتحقق من خلال حكم الله تعالى عليه وليس من خلال حكم الناس لذلك نجد من يعدّه الاخرون يسقط متاع مثلاً نجده عند الله تعالى محتلاً ارفع الدرجات وكذلك نجد من يعدّه الاخرون عزيز القوم نجده عند الله ذليلاً .

ضمائر المخاطب

ومن ضمائر الرفع التي وردت في الدعاء قوله: " انْتَ الخالِقُ وَأَنا المَخْلُوقُ، وَأَنْتَ المالِكُ وَأَنا المَمْلُوكُ، وَأَنْتَ الرَّبُّ وَأَنا العَبْدُ، وَأَنْتَ الرَّازِقُ وَأَنا المَرْزُوقُ، وَأَنْتَ المُعْطِي وَأَنا السَّائِلُ، وَأَنْتَ الجَوادُ وَأَنا البَخِيلُ، وَأَنْتَ القَوِيُّ وَأَنا الضَّعِيفُ، وَأَنْتَ العَزِيزُ وَأَنا الذَّلِيلُ..."

فقد ورد ضمير الرفع المنفصل "انت" الذي يدل على ذات المخاطب محيلًا إحالة مقامية خارجية حيث تؤدي هذه الإحالة إلى سبك النص

وترابط اجزاءه وانسجامها حيث اشار الرسول محمد صلّى الله عليه واله وسلم في قوله: (انت الله لا اله الا انت رب العالمين، انت الخالق وانا المخلوق وانت المالك وانا المملوك، وانت الرب وانا العبد، وانت الرازق وانا المرزوق)، هذه السلسلة من الضميرين " انت وانا " ترد في ادعية متنوعة فقد ورد في هذا النص التقابل بين الله تعالى وبين العبد حيث ينبه العبد ويذكره بعظمة الله تعالى من جانب أو بوظيفة العبد من جانب آخر بحسب ما تتنوع فيه هذه المقابلات بين الله تعالى وعبده وبدأ النص بعبارة "انت الخالق وانا المخلوق" من الواضح ان الله تعالى هو مما ينبغي أن تقر به بداية حيث يتفرد الله تعالى بوجوده وبمخلوقاته اذ انه تعالى لا اله سواه كما تقول العبارة "انت الله لا اله الا انت " ثم انه تعالى رب العالمين فهذا اقرار من العبد بانه لا اله ألا هو تعالى دون سواه وانه تعالى هو الرب للوجود الذي خلقه حينئذ يحصل لديه يقين معرفي بانه يتعامل الان مع الله الذي لا اله سواه لهذا الوجود الذي نحن البشر احد انماطه.

من خلال هذه الفقرات تترسخ في قلوبنا هذه الحقيقة الوحدانية لله تعالى وللعالمين حينئذ تواجهنا المفردة الأولى من الحقيقة المذكورة وهي انه تعالى هو الخالق للبشر وأن البشر هو المخلوق في قوله "انت الخالق وانا المخلوق" فهذه العبارة هي تجسيد او تعبير عن الحقيقة التي ايقنا بها من خلال اعترافنا بان الله تعالى هو وحده وهو رب العالمين .

وقوله: "أَنْتَ اللهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ الخَلاقُ المُعِينُ"

وردت الإحالة في هذا النص بتكرار ضمير الرفع المنفصل الذي يدل على المفرد المذكر فقد أشار "صلّى الله عليه وآله وسلم" بالضمير المخاطب " أنت" وقد أحال الضمير على ذات المخاطب إحالة نصية بعدية على المحال إليه لفظ" الله عز وجل" إما الضمير الثاني بعد اداة الاستثناء فقد أحال إحالة نصية قبلية على لفظ "الله" ففي هذا النص توضيح وترسيخ لفكرة وحدانية الله عز وجل فقد كان لذلك التكرار البلاغي دلالته الكبيرة حيث يستحضر في ذهن المتلقي التعميق لمفهوم

وحدانيته عز وجل، فكانت الظواهر المتسلسلة التي عرضها الدعاء تتجانس مع لفظة" الخلاق" بصيغة المبالغة فقد كانت الظواهر المتصلة بالأرض والسماء في قوله" كُنْتَ إِذْ لَمْ تَكُنْ سَّماء مَبْنِيَّةٌ، وَلا أَرْضٌ مَدْحِيَّةٌ، وَلا شَمْسٌ مُضِيئَةٌ، وَلا لَيْلٌ مُظْلِمٌ، وَلا نَهارٌ مُضِيٌ، وَلا بَحْرٌ لُجِّيٌّ، وَلا جَبَلٌ راسٍ، وَلا نَجْمٌ سارٍ، وَلا قَمَرٌ مُنِيرٌ، وَلا رِيحٌ تَهُبُّ، وَلا سَحابٌ يَسْكُبُ، وَلا بَرْقٌ يَلْمَعُ، وَلا رَعْدٌ يَسْبَحُ، وَلا رُوحٌ تَنَفَّسُ، وَلا طائِرٌ يَطِيرُ، وَلا نارٌ تَتَوَقَّدُ، وَلا ماءٌ يَطَّرِدُ" لأن ظاهر الدعاء في هذه الفقرات يتحدث عن خلق الله تعالى فصيغة المبالغة " الخلاق" مرتبطة بلفظة العليم من حيث الخلق والأبداع الإلهي ، فإنها ظواهر جميعها خلقها الله تعالى هي أكثر تجانساً مع سياق الدعاء الذي يتحدث عن خلق الله تعالى للظواهر الكونية المختلفة.

الضمير الغائب

نحو قوله: "الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا إِلهَ إِلاّ هُوَ"

ورد ضمير الرفع المنفصل في بداية الدعاء مشيرًا إلى إحالة نصية قبلية ذات مدى قريب فقد اشار الرسول محمد "صلّى الله عليه وآله وسلم " إلى الله عزو جل بالضمير الوجودي "هو" فقد جعل ضمير الغائب "هو" النص على مستوى واحد من الاتساق والتماسك الذي يدركه المتلقي عند قراءته . فقد أشار الرسول محمد "صلّى الله عليه وآله وسلم" في هذا النص إلى أنّ الله وحده يعبد وله العبودية ولا معبود سواه وهو الحي الذي له جميع معاني الحياة الكاملة بما يليق بجلاله وعظمته، وهو القيوم القائم بنفسه، المُقيم على غيره، القائم على خلقه بآجلهم، وأرزاقهم، وأعمالهم، لا تأخذه سنة نُعاس اي: مقدمات النوم، ولا يأخذه نوم وكل ما في السماوات الأرض له .

وقوله : "نُورُ السَّماواتِ وَالأَرَضِينَ وَفاطِرُهُما وَمُبْتَدِعُهُما، بِغَيْرِ عَمَدٍ خَلَقَهُما وَفَتَقَهُما فَتْقا"

ورد الضمير المنفصل "هما" في هذا النص وقد حقق إحالة نصية قبلية على المحال إليهما " السماوات والأرضين" حيث يصف الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم " القدرة الإلهية في خلق السموات والأرض حيث تضمن النص الاشارة إلى السموات والارضين وابداع الله فيهما .

وفي هذ المضمار يتضح أن ّالله َتعالى حينما أو جد السموات والارضين بعد أن كانا في العدم اي لا وجود لهما حينئذ فأن الإيجاد لهما يتم عبر صور متنوعة تفصح عن القدرة الالهية غير محدودة لمطلق ظواهر الكون ومنها إيجاد السماء والارض وتدل لفظة "فاطر" على انها

الشق عن الشيء لإظهاره للعيان أي انه عملية إيجاد لذلك فأن الله تعالى عندما فطر السماء والارض انما فتقهما فتقاً أي فصل خيوط الشيء عن بعضها الاخر، أي أن الله تعالى أوجد السماء والارض من العدم وجعلهما بصفة خاصة لهما تماسكهما بحيث اصبحتا اصلاً طبيعياً لما هو مادي تماماً كما جعل عقيدة البشر مفطورة على التوحيد فتكون كلمة الفطرة حينئذ هي الطبيعة المادية والمعنوية لصياغة هذه الأشياء من حيث الاصل.

لذلك فأن الله تعالى عندما أوجد السماء والارض انما أوجدهما على نحو الاختراع والابداع للشيء بدون ان يكون له مثال سابق ومعنى عبارة" ابتداعهما "حيث ان الإيجاد للشيء قد يكون ابتداءً من دون مثال سابق له وقد يكون استمرارياً وامتدادياً لما هو سابق ففي التجربة البشرية مثلاً من الممكن ان يبتدع ويخترع جهازًا للطيران أو الابحار أو السير كالطائرة أو الباخرة أو العربة وقد يصنعها صانعها بعد أن يقف على النموذج السابق لها حيث أن الدعاء يستهدف الإشارة من الله تعالى من خلال قدرته المطلقة غير المحدودة في إيجاد السماوات والارضين دون ان يكون هناك مثال سابق وهذا يكشف عن القدرة المتفردة الخاصة بالله وحده ، لأنه ينفرد بقدرته ولا يشاركه أحد في ذلك.

الضمائر المتصلة

ومن الضمائر المتصلة التي وردت في الدعاء الضمير الهاء الذي يدل على المفرد الغائب ويكون في محل جر وكذلك يكون في محل نصب (عباس حسن، ١٤٣١-٢٠١٠ ، صفحة ٢٢٢/١) ومنه قوله صلىّ الله عليه واله وسلم : **"المُدَبِّرُ بِلا وَزِيرٍ، وَلا خَلقٍ مِنْ عِبادِهِ يَسْتَشِيرُ، الأَوَّل غَيْرُ مَوْصُوف، وَالباقِي بَعْدَ فَناءِ الخَلْقِ، العَظِيم الرُّبُوبِيَّةِ ... فَقامَتِ السَّماواتِ طائِعاتٍ بِأَمْرِهِ، وَاسْتَقَرَّتِ الأَرَضُونَ بِأَوْتادِها فَوْقَ الماءِ، ثُمَّ عَلا رَبُّنا فِي السَّماواتِ العُلى، الرَّحْمنُ عَلى العَرْشِ اسْتَوى، لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ، وَما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّرى.**" ورد العنصر الإحالي في هذا النص في قوله " عباده، بأمره، بأوتادها، له" ورد العنصر الإحالي في " عباده ، بأمره، له، " محيلاً إحالة نصية قبلية تعود على "لفظ الجلالة الله " وقد تحققت الإحالة في لفظة" بأوتادها" وقد احيلت احالة نصية قبلية تعود على "الأرضين" ففي هذا النص يوضح النبي " صلىّ الله عليه واله وسلم" ويبين للقارئ ان هاتين الفقرتين تتحدثان عن السماوات والارضيين لذلك فأن قيام السماوات واستقرار الارضيين بأمر الله تعالى قد مهد لها الدعاء بعبارات هي انه تعالى: (نور السماوات والارضين وفاطرهما ومبتدعهما بغير عمد خلقها وفتقها فتقاً) فهذه الصياغة الفنية التي حققت تماسكًا ملحوظًا في النص في استعمال الصورة الاستعارية في تقرير الحقائق المتصلة بعظمة الله تعالى من حيث قدراته غير المحدودة لذلك جاء هذا النّص ليوضح الإعجاز الإلهي في خلق هذه الظواهر الكونية ، فهذه الظواهر أو تلك.

لهذا فأن النصوص الشرعية طالما تستعمل العبارة المجازية أو الصورية التي تعمق من المعنى المستهدف فتصور ارادته من خلال ما يطلق عليه مصطلح "الحوار الانفرادي" أي

الكلام الذي يوجهه احد الطرفين إلى الاخر وبالنسبة إلى الله تعالى فانه منزه عن الحدوث بطبيعة الحال أي لا تنطبق عليه التجارب التي نألفها نحن البشر لذلك فان الله تعالى عندما يخاطب الشيء بقوله كن مثلاً فيكون فهو يقول في محكم كتابه الحكيم :" وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ" (هود آية :٤٤) فذلك يتم من خلال ارادته لأن تبلع الارض الماء ولكن النص القرآني الكريم وكذلك الدعاء عبر عن الحقيقة المذكورة بحوار أي بكلمة توجه إلى الماء أو إلى السماوات ثم يتحقق الامر أو الطلب.

لذلك يمكن ان نفسر قول النبي(ص) بالنسبة إلى عبارة "فقامت السماوات طائعات بأمره " هنا لم يضع النبي(ص) عبارة آمرة بل قال بان السماوات قامت طائعات بأمره حيث نستنتج انه تعالى أمرها ولذلك طاعته للأمر المذكور. أي ان الله امر وان السماوات أطاعت أي انه تعالى خلق السماوات فتحقق وجودها .

وقوله بالضمير الهاء : "وَصَلّى الله عَلى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ "

في هذا النص نجد ورود الإحالة الخارجية ذات المدى البعيد التي تعود على أهل البيت عليهم السلام فذاتهم غير موجود في النص وانما خارجه وقد فُهمت من السياق فبذلك ولدت الإحالة بالضمير المتصل الهاء في " بيته" نصًا متماسكًا وربطته ربطًا محكمًا متسقًا مترابطًا مما جعل للدعاء أثرًا وتأثيرًا عميق عند المتلقي ، فهو يشير إلى إن الرسول محمد "صلّى الله عليه واله وسلم" بعد أن دعا ربه بهذه الكلمات يختم دعاءه بالصلاة على النبي وآله بعبارة "وصلّى الله على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين" فهي تعبر عن دعاءه بالسلام والبركة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام فهو يريد هنا بأن ينزل الله صلواته ورحمته على النبي محمد، وآل بيته: تشير إلى عائلة النبي محمد، أي أقاربه وأفراد أسرته الذين يشملهم هذا الدعاء، الطيبين الطاهرين : فهي تعبر عن صفات آل البيت، حيث يُعدّون "عليهم السلام" من أفضل الناس وأطهرهم، ويُعرفون بالتقوى والورع حيث ورد في محكم كتابه الكريم قوله تعالى ".(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)" الاحزاب ٣٣" .

ـ وقد ورد كذلك في الدعاء الضمير المتصل ناء المتكلمين في قوله :"ذلِكَ الله رَبُّنا لا إِلهَ **إِلاّ هُوَ "**

فقد احيل الضمير المتصل الدال على جماعة المتكلمين احالة نصية قبلية إلى المحيل إليه لفظ الجلالة الله عزو جل وبهذا الضمير قد دلت الإحالة على قوة ربط النص بضمير رابط لنسيج النص فقد أوضح النبي في هذا النص عن التوحيد والإيمان بالله لأنه الله الواحد الأحد الذي لا شريك له، فالنص يعبر عن الإيمان القوي والتأكيد على وحدانية الله وهي المطلب الرئيسي في العقيدة الاسلامية.

ـ وقوله : "وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ، وَحَسْبُنا الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاّ بِالله العَلِيِّ العَظِيمِ."

فقد ورد الضمير "الناء" المتصل في قوله: " حسبنا" في هذا النص وقد احال إحالة مقامية خارجية فهي تعود على المؤمنين الذين يعتمدون على الله ، وقد وردت دون ذكر لفظهم في

النص ، فهذا يتطلب من قارئ النص أن يمعن النظر وينتبه إلى السياق الخارجي لأن هذا يساعده على فهم النص وربط الأفكار المحيطة به . فهذه العبارات التي وردت في النص تعكس روح الإيمان والتوكل على الله، حيث يعبر المؤمن عن شكره لله وثقته في قدرته على تدبير أموره وحمايته له من كل سوء، ويعكس تقدير العبد لنعم الله. ثم يذكر في النص (وَحَسْبُنا الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ) أ ي أن الله سبحانه وتعالى هو الكافي، وأن العبد يعتمد عليه في كل أموره. فهي تشير إلى أن الله هو وحده من يتولى الأمور في هذه الدنيا ، فهو الحفيظ والمدبر لكل شيء. وكذلك هي رسالة للإنسان عن الاطمئنان إلى أن الله سيقوم بحماية عباده وتوجيههم نحو الخير. ثم يذكر النبي محمد "صلّى الله عليه واله وسلم " فقرة "وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاّ بِالله العَلِيِّ العَظِيمِ." ففي هذه الفقرة يوضح النبي محمد صلّىَ الله عليه وآله وسلم" أن الامر كله بيد الله تعالى وان العبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً هو ان يتوكل على الله تعالى وحده وأن كل ما يعمله ويخيل إليه بأن ذلك هو جهة شخص انما هو كلام لا حقيقة له لأن الحقيقة هي أنّه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحده.

وقوله :" أَنْتَ الله الَّذِي لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ الخَلاقُ المُعِينُ، أَمْرُكَ غالِبٌ وَعِلْمُكَ نافِذٌ، وَكَيْدُكَ غَرِيبٌ وَوَعْدُكَ صادِقٌ ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ وَحُكْمُكَ عَدْلٌ، وَكَلامُكَ هُدىً، وَوَحْيُكَ نُورٌ، وَرَحْمَتُكَ وَاسِعَةٌ وَعَفْوُكَ عَظِيمٌ وَفَضْلُكَ كَثِيرٌ وَعَطاؤُكَ جَزِيلٌ، وَحَبْلُكَ مَتِينٌ وإِمْكانُكَ عَتِيدٌ وَجارُكَ عَزِيزٌ وَبَأْسُكَ شَدِيدٌ وَمَكْرُكَ مَكِيدٌ،..."

فقد جاء ضمير المخاطب الكاف في الفعل " أمرك، وعلمك، وكيدك، ووعدك، وعفوك، وفضلك، وعطاؤك، وحبلك، وإمكانك، وجارك، وبأسك ، ومكرك" وقد إحال إحالة نصية قبلية تعود إلى المحال هو الله عز وجل وقد حققت هذه الإحالة تماسك اجزاء النص وتلاحمها بعضها مع البعض .

فهنا اقرار بان امر الله غالب لا محاله والذي يلفت النظر في هذا النص أنّ الامور اياً كان نمطها وحجمها هي بيد الله تعالى وحده ، وليس بيد العبد مهما خيل للبعض بان جهد العبد هو المحدد لحصول الامر الذي يروم تحقيقه طبيعياً ثمة بعض المواقف ا تشير إلى ان العبد هو الذي يضطلع بجهده في تحقيقها وهذا قد يتنافى مع التوصيات التي تقرر بان الامر هو لله تعالى ، حيث قال الله في محكم كتابه الحكيم : (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ

"الانفال آية : ١٧" فالمقصود هو أنّ الله هو المساعد لعبده في حركاته فلولا نصر الله تعالى لعبده لما استطاع ان يرمي بسهم في المعركة ، فالواضح من هذه الفقرة من الدعاء بأن امر الله تعالى هو الغالب كما ورد في الدعاء "امرك غالب" اذن امكننا ان نتبين جانباً من الاسرار الكامنة وراء العبارة الواضحة القائلة عن الله تعالى بان امره هو الغالب حيث تعني بان الله تعالى هو الفعال للأمور جميعاً الا أن كل ما في الامر ان نمط الممارسة العبادية للعبد تحدد ما اذا كان الله تعالى في عون عبده في انجاز هذا الامر او عدمه ، أما العبارة الثانية وهي "علمك نافذ" فهي تشير إلى ان الله تعالى عالم بلا حدود أي العلم المطلق وهو المانح لعباده ما شاء والنفاذ هو اجراء الشيء وقضاؤه، فالعلم المقصود من ذلك بالنسبة إلى الله تعالى ان علمه وهو المطلق بلا حدود ينفذه في فاعليته الكونية دون ان يحجزه قصور أو تردية أو توقف في اجرائه للأشياء، اما قوله :" وكيدك غريب " بالنسبة إلى الكيد يعني المكر او الخداع او الاحتيال (أبو

الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، ٢٠٠٠، صفحة ٣/ ٣٨٣) ، أما الجمع بين الكيد وبين هذه الصفات تعود إلى أنّ الله تعالى يتعامل مع الكفار والمنحرفين بما يتساوق معهم والعقاب الذي يطالهم ، حيث أن الكفار يكيدون حيث جاء في محكم كتابه الحكيم :« إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦)" (الطارق)ويقول عن المنافقين: «إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) »(البقرة) فقد جاءت هذه النصوص القرآنية الكريمة تحدد لنا بوضوح بأن الله تعالى يعامل المنحرفين بما يدفعهم به حيث يخيل إليهم أن المكر والخداع والاستهزاء وما إلى ذلك مما يصدر عنهم انما هو ذكاء منهم بينما يجيبهم الله تعالى بلغتهم التي صدروا عنها حتى يكون العقاب اشد الماً عليهم.

وجاء في نص الدعاء قوله : (ووعدك صادق وقولك حق، وحكمك عدل، وكلامك هدى) ، فهذا النص يظهر لنا حقائق فعل الله تعالى في مختلف المجالات.

"وعدك صادق" ففي ضوء هذه الحقيقة المتقدمة يتبين ان الوعد يتجسد في واحدة من مفردات الحقائق المتصلة بالله تعالى من جانب وبالبشر من جانب آخر، لذلك من الطبيعي ان تكون السمات المتصلة بالله تعالى تتميز بكونها متفردة ومنحصرة به تعالى وبكونها في حالة ومن ذلك ظاهرة الوعد من حيث الالتزام به حتى نلحظ أنّ القرآن الكريم مثلاً يخلع على كل نبي من انبياء الله صفة خاصة مثل صفة الصبر بالنسبة الى ايوب(ع) وصفة الشكر بالنسبة الى نوح(ع) وهكذا، وهنا نجد ان صفة الصدق في الوعد برسمها بالنسبة إلى اسماعيل(ع) فيقول الله تعالى :﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]"، من هنا نستكشف مدى أهمية وخطورة هذه الصفة بحيث يرسم بها القرآن الكريم شخصية نبوية كشخصية اسماعيل(ع) ....وغيرهم من انبياء الله تعالى.

.

وقال :" ذلِكَ الله رَبُّنا لا إلهَ إلاّ هُوَ، تَكْفِي ... مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْك وأَنْتَ جارُ مَنْ لاذَ بِكَ وَتَضَرَّعَ إِلَيْكَ، عِصْمَةُ مَنِ اعْتَصَمَ بِكَ، ناصِرُ مَنِ انْتَصَرَ بِكَ "

فقد ورد ضمير المخاطب الكاف في " عليك ، بك،" حيث جاء الضمير متصلًا بالجار والمجرور محيلاً إحالة نصية قبلية تعود على لفظ الجلالة "الله"

فقد أشار الرسول محمد "صلّى الله عليه وآله وسلم: في هذا النص من الدعاء إلى أن الله عزو جل هو وحده من يتوكل عليه الأنسان في جميع أموره وان قوله(ص) عن الله تعالى "جار من لاذ بك وتضرع اليك " يعد من التوصيات او المعاني الواضحة كل الوضوح بحيث يخيل الى قارئ الدعاء انه لا يحتاج إلى القاء الضوء عليه، وهذا التصور أو التخيل صائب بلا شك .

فان الله تعالى هو جار والجار أي المجير الذي وحده ينقذ من استغاثه وطلب العون منه ، لذلك ان التوجه الى الله تعالى والتوسل به بان ينقذنا من الشدة وهذا الأمر يتطلب مرحلتين الاولى : هي ان يلوذ العبد بالله تعالى أي ان يلتجئا اليه ثم بعد ان يلتجئا اليه ينبغي ان يكون في حالة انكسار وهذا ما عبرت الفقرة الثانية عنه حينما قالت: (وتضرع اليك)، فالتضرع معناه

الخضوع والتذلل لله تعالى حتى يصفو من شوائب القسوة والغفلة وحكام الدنيا من هنا فان الدعاء اذا ورد على لسان العبد مجرداً من الانكسار القلبي ونحوه يظل في الواقع تعبيراً عن الحالة العادية التي لا تنسجم مع المناخ الروحي الذي ينبغي ان يحيا العبد مع الله تعالى لأن عظمة الله تعالى عندما يتصورها الواعي وغير الغافل تجعله في غشية أو صعقة ونحوهما مما يحيا السالكون والعارفون والاتقياء.

وقوله: (عصمة من اعتصم بك، ناصر من انتصر بك، تغفر الذنوب لمن استغفرك)، ففي هذه الفقرة من الدعاء وهي امتداد لسابقتها "فالضمير الكاف " الذي ورد في النص حقق الترابط بين الفقرات بعضها البعض الاخر، وصنع ربطًا معنويًا بين أجزاء النص ، حيث ان النبي(ص) يحدثنا عن الله تعالى من حيث التوجه إليه عند الشدائد ،و ان الله تعالى جار من لاذ به وتضرع اليه ، وعصمة من اعتصم به أي انه تعالى ناصر من انتصر به، فالجار والعصمة والناصر هي صفات خاصة حضرها الدعاء وأكدها في سياق خاص" هو لجوء العبد الى الله تعالى في الشدة حيث انتخب النبي(ص) هذه الصفات دون سواها لمغزى خاص والا فان الصفات الاخرى المرتبطة بلجوء العبد الى الله تعالى في الشدة من الكثرة بمكان ولكن النكتة هي ان هذه الصفات الثلاث المرتبطة برفع الشدة الا وهي صفة المنقذ او المجير ثم يتبعها بانكسار القلب وخضوعه لله تعالى حتى يعطي الدعاء نتيجته وهي رفع الشدة لأن الدعاء دون ان ينكسر قلب الداعي يظل مجرد عبارات لا فاعلية لها. لذلك يجب ان ندرك الاسرار الكامنة وراء هذا المقطع من الدعاء فمع وضوحه ووضوح معانيه إلا انه وضوح يقترن بعمق الوعي وبعظمة الله تعالى ورحمته وآداب الدعاء والتوسل به عند الشدائد ومن ثم ضرورة ان نتمسك به تعالى من حيث الالتزام بجميع مبادئه التي رسمها .

وقال: " اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَاسْتُرْ عَلَيَّ عُيُوبِي"

فقد ورد الضمير المتصل "ياء المتكلم" في قوله" لي ذنوبي، عليَّ عيوبي" وعاد العنصر الإحالي إلى ذات المتكلم وهو خارج النص" الرسول محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) فقد حقق إحالة خارجية مقامية حيث يذكر الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) التوسل بالله تعالى بغفران الذنب وستر العيب، وطلب الرحمة، وسعة الرزق فقد حقق ضمير النصب المتصل بالفعل تماسكًا نصيًا بين أجزاء النص ،لذلك فقد جاءت هذه العبارات المتنوعة والموزعة بين موضوعات مختلفة كل واحدة منها تحمل دلالة خاصة مشفوعة بجملة نكات نحو التوسل بالله تعالى بغفران الذنب وستر العيب، وهناك فرقًا بين غفران الذنب وبين ستر العيب هو ان الذنب هو ممارسة المعصية واما العيب فهو اعم من ذلك حيث ينحسب على الذنب وعلى سواه من الممارسات التي تقرب بما هو غير مقبول عند الله تعالى وعند الناس ، وهذا ما يتصل بالفارق بين الذنب وبين العيب واما الفرق بين التوسل بالله تعالى بان يغفر الذنب ويستر العيب، فان الغفران للذنب هو عدم ترتيب عقاب عليه، بينما ستر العيب هو عدم اطلاع الاخر عليه .

وقوله: " كُنْتَ قَبْلَ كُلِّ شَيءٍ، وَكَوَّنْتَ كُلَّ شَيءٍ، وَقَدَرْتَ عَلى كُلِّ شَيءٍ، وَابْتَدَعْتَ كُلَّ شَيءٍ وَأَغْنَيْتَ وَأَفْقَرْتَ"

نلحظ ضمير التاء المتصل بالأفعال " كونت، قدرت، ابتدعت، اغنيت ، أفقرت" تحيل إحالة نصية قبلية تعود على الله " عز وجل" فهذه التاء التي اتصلت بالأفعال وعادت على لفظٍ متقدم ذكره وهو الله عز وجل قد أعطت للنص انسجامًا وترابطًا بين اجزاءه وكذلك أسهمت هذه الشبكة من الإحالات في اختصار النص وعدم التكرار، وبذلك تحقق ذلك النسيج من الترابط بين أجزاء النص بعضها مع البعض الآخر ، فأن هذا المقطع من الدعاء يتحدث عن الله تعالى اولاً أي وجوده القدسي وهو ما اشار إليه بفقرة (كنت قبل كل شيء) فقد تضمنت الاشارة إلى انه تعالى كان قبل كل شيء وقد اعقبها بعبارة "وكونت كل شيء" وهذا التقابل له نكتته كما هو واضح فان الله تعالى ما دام موجوداً ازلياً قبل كل شيء حينئذ فان كل شيء موجود لابد وان يكون بفعل من الله تعالى وهذا ما عبر عنه الدعاء بعبارة "وكونت كل شيء" فتكون الدلالة في نهاية المطاف هي أنّ كل شيء هو من الله تعالى بفاعلية من الله تعالى بحيث اذا لم تكن الفاعلية المذكورة متحققة حينئذ لا وجود لأي شيء .

(وقدرت على كل شيء، وابتدعت كل شيء) حيث تمثل هذه الفقرة من الدعاء الحديث عن النصوص الشرعية التي تتميز بكونها كلاماً من وحي الله تعالى حيث يتسم بالكمال المعرفي ، لذلك فان النكتة هي ان تكوين كل شيء أعم من القدرة المطلقة عليه ، ففي التجربة البشرية مثلاً قد يكون الأنسان هذه الظاهرة أو تلك ولكنه لا يقدر على أشياء اخرى أو عندما يكون أشياءً اخرى لا يقدر على اتمامها كاملة ، بل يكونها من خلال قدرات محدودة وهذا على العكس من الله تعالى حيث ان قدراته غير محدودة وهذا ما يستهدفه الدعاء في لفت النظر إليه.

- **الضمير المستتر**

وقوله: " وأَنْتَ جارُ مَنْ لاذَ بِكَ وَتَضَرَّعَ إِلَيْكَ"

فقد ورد في هذا النص الضمير المستتر في الفعل" لاذَ، وَتَضَرَّعَ" وقد إحال إحالة مقامية خارجية تعود على الذين يلجأون إلى الله ويتضرعون إليه ففي هذا النص إشارة إلى ان الله تعالى هو جار والجار معناه المجير أي من ينقذ من استغاثه وطلب العون منه وأنه وحده الله تعالى من ينقذ عبده من الشدة اذا طلب منه الاغاثة. لذلك فقط عطف الجملة الأولى على الثانية في قوله وتضرع إليك فقد كون النص وما حواه من ضمير إلى تحقيق دلالة متماسكة ومتناسقة ومتلاحمة بعضها مع البعض الآخر

ففي هذه العبارة تحقق شرط إلى أن العبد يلوذ بالله تعالى أي انه يلتجئ إليه ثم بعد ان يلتجئ ينبغي ان يكون في حالة انكسار وهذا ما عبرت عنه الفقرة الثانية : (وتضرع اليك)، فالتضرع معناه الخضوع والتذلل لله تعالى حتى يصفو من شوائب القسوة والغفلة وحكام الدنيا، فأن العبد إذا اراد ان يتحقق طموحه أي التخلص من الشدة الفعلية عليه اولاً ان يتجه إلى الله تعالى ويلتجئ اليه ويلوذ به ثم ينبغي عليه ان يتضرع بمعنى ان يخضع ويتذلل وينكسر قلبه حتى يحقق تعالى له زوال الشدة. لذلك فقد اسهم الضمير المستتر في هذا النص على اختصار الكلام وتوضيح المعنى مما يربط لغة النص بالسياق الخارجي.

وقوله: " تَغْفِرُ الذُّنُوبَ لِمَنِ اسْتَغْفَرَكَ"

ورد الضمير المستتر في الفعل " تَغْفِرُ" وقد إحال إحالة نصية قبلية على الله عز وجل ، فقد أشار في هذا النص مرتبطً بالنص السابق الذي يتحدث عن الشدة وان الله تعالى جار من لاذ به وتضرع اليه وانه تعالى عصمة من اعتصم به، وناصر من انتصر به، أي ان العبد يلجأ الى الله تعالى في الشدائد جميعاً سواءً كانت دنيوية او آخروية. فالضمير المستر مع أحالتهِ في ربط النص وتماسكه ، حتى يسهل على المتلقي أو قارئ الدعاء من فهمه وأدراكه لمعانيه التي وردت ما بين نصوص وفقرات الدعاء .

ثم يستمر الحديث عن غفران الذنوب في قوله " تغفر الذنوب لمن استغفرك " ففي هذا النص يوضح ان جميع شدائد الحياة مهما كانت حجومها لا تقاس بالشدائد المترتبة على ممارسة الذنوب فإذا فرغ من توسله بالله تعالى بان يرفع عنه شدائد الحياة ، حينئذ فان التوسل به بان يرفع عنه شدائد الذنوب يكون بذلك أولى واجدر برحمته تعالى. فأن الله تعالى هو المجير لمن لاذ به وهو العصمة لمن اعتصم به وهو الناصر لمن انتصر به.

الإحالة الإشارية" هي ما يدل على أي شيء يتعين بموضوع ، ويثير من جهة أخرى فكرة معينة في الذهن ويوجد فيها القصد في التوصيل، فهي حدث أو شيء يشير إلى حدث أو شيء آخر لا لها من مادة أو مرجع (نعمان بوقرة، ٢٠٠٩، صفحة ٨٦).فالأصل فيها أن يشار إلى الأشياء المشاهدة المحسوسة وتتساوى هذه الأسماء في الإشارة أو الإحالة إلى عنصر داخل النص أو خارجه فهي تسهم في اتساق النص والربط بين اجزاءه . (فاضل صالح السامرائي، ٢٠٠٣، صفحة ٨٢) وتقسم هذه الأسماء على :

"هذا "للمفرد المذكر القريب	**"تلك" للمذكر البعيد**
"هذه" للمؤنث القريب	**"تلك" للمؤنث البعيد**
"هؤلاء" للجمع القريب	**"أولئك" للجمع البعيد**

ويمكن إضافة ظروف ضمن الإشارة للزمان والمكان نحو" الآن، غدًا ، امس..." وهنا، وهنالك، ثم" للمكان القريب والمكان البعيد. وتشير هذه الاسماء ولاسيما المفردة بالإحالة إلى جملة أو متتالية من الجمل وتلحق بالأسماء عدة عناصر مثل" الكاف، واللام، والميم" (سعيد حسن بحيري، ٢٠٠٥، الصفحات ١٤٥- ١٤٦) وهذه الأسماء تؤدي الوظيفة نفسها التي يؤديها الضمير في تماسك النص واتساقه وقد تجلى الاسم الإشاري في موضعين في الدعاء ومنه قوله "صلّى الله عليه وآله وسلم":

"ذٰلِكَ الله رَبُّنا"

حيث ورد اسم الإشارة واشارةً إشارة نصية بعدية تحيل إلى الله عز وجل ممّا اسهم هذا في تماسك النص وتلاحمه بعضه مع البعض الاخر ، ففي هذا النص أشار الرسول محمد "صلىّ الله عليه واله وسلم" في هذا النص إلى انه تعالى هو الاوحد في تفضله على عباده بإزالة شدائدهم ومن الواضح أن النكتة البلاغية في هذا الموقف هي عنصر التأكيد أو التكرار لعبارات تشير إلى وحدانية الله تعالى في ازالته لشدائد العبد الصالح وهذا مثل استهلال المقطع بعبارة "انت يا رب" ثم اختتامه بعبارة "ذلك الله" حيث ان الاستهلال والاختتام بالإشارة إلى الله تعالى يعني من الزاوية البلاغية ان الامر اولاً واخيراً هو بيد الله تعالى وحده .

وقوله: " ثُمَّ عَلا رَبُّنا فِي السَّماواتِ العُلى"

ففي هذا النص وردت الإحالة نصية بعدية تحيل إلى الله عزو جل في قوله " ربنا" فهو يشير إلى تمجيد الله تعالى

(ثم علا ربنا في السماوات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السماوات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى)، فهذا المقطع من الدعاء يحفل بخصائص متنوعة منها: انه يقتبس هذا النص من الدعاء من القرآن الكريم بعباراته ودلالاته ويجمع بين التعبير الصوري المستند إلى الرمز أو الاستعارة ، وبين التعبير الواقعي فضلاً عما ينطوي عليه من التمجيد لله تعالى في دلالات ثرية وعميقة فالنص ينطوي على لغة رمزية أو استعارية وليست واقعية أو حقيقة بالمعنى الحرفي لذلك فقد جاءت العبارتين الأوليتين بلغةٍ صورية وما بعدهما لغة حرفية واقعية.

لذلك فأن التعبير الصوري له اسهامه في تعميق المعنى كما ان التعبير الحرفي له وظيفته في تقديم الدلالة الواضحة.

فالتعبير الصوري يعني به (ص) (ثم علا ربنا في السماوات العلى) وقوله(ص) "الرحمن على العرش استوى" ان الله تعالى يمثل دلالة العلو بكل ما تحمله من الاستيحاءات المتصلة بالعلو أي إن الله تعالى عال ، واما مخلوقاته فتمثل ما يقابل العلو بيد ان كونه عالياً لا يعني العلو المادي بل العلو المعنوي كما لو قلنا مثلاً: في تعبيراتنا العادية فيما بيننا بان فلاناً يحمل أخلاقاً عالية فالعلو هنا ليس مادياً كعلو البناية مثلاً بل هو المعنى الرمزي الذي يشير إلى الاقصى من درجات الاخلاق والامر اذا نقلناه الى الله تعالى فان العلو هنا يعني الهيمنة والقوة والتمكن والسيطرة على السماوات العلى، من جانب آخر إن السماوات بطبيعتها المادية هي المكان الاعلى فيكون التعبير بانه تعالى علا في السماوات بمعنى انه هيمن عليها وهي جزء من الهيمنة العامة أي الهيمنة على الوجود بأكمله .

<u>الاسم الموصول وال التعريف</u>

هو الاسم الذي لا يتم بنفسه ويفتقر إلى كلام بعده، يصله ليتم اسمًا ، فإذا تم بعده كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة ، وينبغي أن تكون الصلة معلومة عند المخاطب ، لأن الغرض بها تعريف المذكور بما يعلمه المخاطب من حالة ليصبح الأخبار عنه بعد ذلك. (ابن يعيش ٦٤٣، ٢٠٠١، صفحة ٢/ ٣٧١) وقد أضافها دي بوجراند لوسائل السبك (بوجراند، ١٤١٨- ٢٠٠٩، صفحة ٣٢) كما أيَّدَ ذلك الأزهر الزناد بوصفها من الألفاظ الإحالية فهي تقوم على مبدأ التماثل

والتطابق، وتشارك بقية الأدوات في عملية التعويض، وكأنها جاءت تعويضًا عما تحيل إليه وتقوم بالربط الإتساقي من خلال ذاتها بين الاسم الموصول وما بعده. (الأزهر الزناد، ١٩٩٣، صفحة ١١٨) (د أحمد عفيفي، ٢٠٠١، صفحة ٢٧) وتقسم الاسماء الموصولة على قسمين مختصة ومشتركة، يقصد بالمختصة: هي ما اختصت لشيء واحد، ولا تأتي مع غيره وهي " الذي" للمفرد المذكر،" التي" للمفردة المؤنث،" اللذان ، اللتان، الذين، اللاتي، اللواتي، الألي" أما المشتركة فهي نقيض المختصة تأتي بلفظة واحدة لجميع المعاني نحو" من، ما ، أي، ذا ، ذو، ذات " فهي تأتي للمفرد والجمع والمذكر والمؤنث . (فاضل صالح السامرائي، ٢٠٠٣، صفحة ١١٣/١)

فقد ورد الاسم الموصول في الدعاء مرة واحدة بالاسم المختص وهو " الذي" وكذلك بأسماء مشتركة نحو" من ، وما " نحو قوله صلّى الله عليه واله وسلم :

"الحَمْدُ للهِ الَّذِي..."

فقد احال النص بالاسم الموصول المختص" الذي" وقد احال احالة نصية قبلية قريبة المدى أي في الجملة نفسها وهي تعود على الله عزو جل فقد تميز هذا النص بكلمات تحمل معاني عميقة تدل على حمد الله والثناء عليه وشكره وحمده على جميع نعمه ، فهذه العبارة تشير إلى إن الله وحده لا شريك له ولا شبيه يشاكله فهو واحد أحد ولا يوجد إله آخر يستحق العبادة غيره ، فالتوحيد يدل على وحدانية الله عز وجل بانه هو الخالق وحده والمدبر لكل شيء فاسم الموصل "الذي " فمن خلال هذا الرابط " الذي" فقد ربطت عبارات النص ربطًا متماسكًا محكمًا فتحقق لاتساق والترابط بين اجزاء النص.

وقال : قال الله تعالى "لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ، وَما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّرى"

ففي هذا النص القرآني نجد وسيلة من وسائل التماسك النّصي رابطة لنسيج النص وهي الاسم الموصول

" ما" الذي تكرر في النص محيلًا احالة نصية قبلية إلى الله تعالى فقد اشار إلى الملكية التامة لله وحده ، ففي هذا العالم هناك نوعان من الحقائق منها الحقائق النورانية والحقائق المظلمة ، فهناك موجودات ذات نور وهناك موجودات ذات نور لا ترى فكل شيء له وهو ملكه وفي قبضته ، وتحت تصريفه ومشيئته وإرادته وحكمه ، وهو خالق ذلك ومالكه وإلهه ،ثم يقول: "وما بينهما وما تحت الثرى" فالثرى : هو التراب الندى . يقال : ثريت الأرض - كرضيت - إذا نديت ولانت بعد أن كانت جدباء يابسة (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، ٢٠٠٠، صفحة ١٧/٣).

فهوله - سبحانه - بجانب ما في السموات وما في الأرض وما بينهما ، ما وراء الثرى وهو تحوم الأرض وطبقاتها إلى نهايتها . وخص - سبحانه - ما تحت الثرى بالذكر ، مع أنه داخل في قوله : (وَمَا فِي الأرض) لزيادة التقرير ، ولتأكيد شمول ملكيته - سبحانه - لكل شيء.

وقوله: "نـاصِرُ مَنِ انْتَصَرَ بِكَ"

فقد احال اسم الموصول في هذا النص " من" الذي جاء بمعنى "الذي" احالة قبلية ذات مدى بعيد تعود على الله سبحانه وتعالى فقد اشار هذا النص إلى صفة من صفات الله عز وجل وهي أنه ناصر من حيث ان لجوؤك إلى الله تعالى ودخولك إلى حصنه المنيع، وان تترتب عليه نتائج كبيرة وهي نصرة الله تعالى لعبده فلا يعقل ان تتجه الى الله تعالى بقلب منكسر وندخل الى ساحته المنيعة ثم لا نخرج بنتيجة بل لابد وان ينصرنا الله ويخلصنا من الشدة التي رفعناها الى الله تعالى وتوسلنا به تعالى لإزالتها. فهذه الإحالة قد أنتجت نصًا متماسكًا فيه ما فيه ، مما يجعل قارئ النص منشدًا لنصاعة العبارات وتآلفها مع بعضها البعض وهذه الأدوات هي التي ربطت بين اجزاء النص التي لو لاها لما كانت عليه اجزاء النص مترابطة.

(ال التعريف)

وإلى جانب الأسماء الموصولة هناك "ال التعريف" فهي للاسم النكرة كما الصلة للاسم الموصول في وجوده الموضوعي لا يعرفه كونه معرفًا أولاً، بل يوصف بذلك مجال الاخبار فقط (غراتشيا غابوتشيان، ١٩٨٠، صفحة ٢٩)

لهذا فقد رأى سيبويه انه من غير الممكن أخبار السامع بشيء ما بخصوص شيء ما غير معلوم بالنسبة له (سيبويه، ١٩٨٨، صفحة ٥٤/١) وقد وردت في نص الدعاء نحو قوله:

"وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ أَنْتَ الله الواحِدُ الاَحَدُ المُتَفَرِّدُ الصَّمَدُ الفَرْدُ وَإِلَيْكَ المَصِيرُ "

ففي هذا النص أورد الرسول محمد "صلّى الله عليه واله وسلم" أخبارًا معلومة عند المتكلم والسامع ، ولكن لكي يزيد أخبارنا بذلك من باب التوكيد على وحدانية الله عز وجل ، وبذلك يرى عبد القاهر الجرجاني في لام التعريف انها أداة تتجاوز ما يراه النحاة من تحويلها من النكرة إلى المعرفة فهي تتعدى ذلك إلى الربط بين الجمل ربطًا يشبه ربط الإحالة بالضمير من حيث أنها تذكر المتلقي بشيء سبق ذكره. (إبراهيم محمود خليل، ٢٠٠٩، صفحة ٢٢٩) وقد احال بذلك احالة نصية قبلية ذات مدى قريب حققت ترابطًا وتماسكًا بين اجزاء النص ، ففي هذا النص أراد الرسول محمد "صلّى الله عليه واله وسلم " وهذا المقطع من الدعاء يتسم بأهمية كبيرة من حيث أنه يتضمن مفردات توحيدية متماثلة في عرضها لأسمائه وصفاته تعالى ولكنها متفاوتة في دلالاتها من جانب آخر فالنص يبدأ بكلمة الله تعالى وهي مفردة تعني الاسم العام له عز وجل اما الاسماء التي تليها فهي خاصة بدلالة محددة تفترق عن الاخرى ،فهذا فارق وهناك فوارق منها كما مثل بطبيعة الحال المراد بالواحد نعني التركيب عنه تعالى واما الاحد فنفي الشريك عنه أي صفاته وذاته، وايضاً ورد من الفوارق ان الواحد يعني نفي المشاركة في الصفات بينما الاحد يعني التفرد في الذات ومنها فوارق متنوعة اخرى تتصل بالاستخدام حيث ان الواحد يستخدم مطلقاً بينما الاحد لا يستخدم الا في الحديث عن الله تعالى.

الاحالة القائمة على المقارنة

وهي الألفاظ التي تؤدي إلى المشابهة أو المطابقة أو الاختلاف أو الإضافة إلى السابق كمًّا وكيفًّا أو المقارنة (احمد عفيفي، ٢٠٠٥، صفحة ٢/ ٥٣٤) ، لذلك فقد أجمع علماء النص من دراساتهم للإحالة بصيغ المقارنة على أنّ المقارنة تنقسم إلى عامة، وخاصة، مستندين بذلك إلى التصنيف الذي وضعه هاليدي ورقية حسن إذ ذكرا في كتابهما أن الإحالة بالمقارنة صنفان . (محمد الشاوش، ٢٠٠١، صفحة ١٣٠/١)

- المقارنة العامة

هي المقارنة التي تكون إشارية ومنها يتفرع " التطابق" ويتم باستعمال عناصر نحو: "مثل" واشتقاقاتها، والتشابه" وفيه تستعمل عناصر مثل الألفاظ(يشبه، واشتقاقاتها والاختلاف وفيه تستعمل عنصر نحو: آخر ، طريقة، آخرى ...).

ـ المقارنة الخاصة

هي مقارنة من حيث الكم والنوع وتستعمل صيغة أفعل التفضيل (محمد حطابي، ٢٠٠٦، صفحة ١٩)

لذلك فقد حصل جدال بين العلماء في انتماء المقارنة الخاصة إلى الإحالة أن هذه المقارنة تقتضي كيفية دلالية أن تكون ثنائية، فيما عُدت من الإحالة صار لزامًا عدَّ كل ما يشاكلها من البنى أن تكون الثنائية نحو إحالة الفعل المتعدي لمفعولين ظن وإذا بالإحالة تبتلع جميع مقتضيات الدلالة والإعراب. (محمد الشاوش، ٢٠٠١).

ففي ادوات المقارنة ما فيها من الربط بين السابق واللاحق كما في بقية الأدوات فمثلًا لو قلنا :محمد افضل من زيد أو محمد بخلاف زيد فهنا حصلت المقارنة بين الاسم الأول والاسم الذي اتى بعده لنفهم ان من اتصف بالمقارنة هو الاسم الوارد أول مرة ويقارن بالاسم الذي يله فكانت لفظة المقارنة هي رابطة بينهما وهي من اسهمت في توثيق النص.

وقد وردت المقارنة في نصوص من الدعاء وهي على النحو الآتي:

"أَسْمَعُ السَّامِعِينَ، أَبْصَرُ النَّاظِرِينَ"

في هذا النص وظف الرسول محمد صلّى الله عليه واله وسلم اسم التفضيل لتوضيح أوجه المقارنة بين السمع والبصر فقد أشار اسم التفضيل في كلمتي" اسمع، ابصر" إلى احالة نصية قبيلة ذات مدى بعيد، فهو يشير إلى المحيل إليه وهو الله تعالى ، وكأنه يجعل قارئ النص يعقد مقارنة بين حالتي السمع والبصر وما يترتب عليهما ، لذلك فقد اسهم اسم التفضيل في تماسك النص وترابط اجزائه، فالرسول هنا اراد ان يوضح ان من الحقائق التي لا تخفى على السامع

هي ان السمع والبصر بالنسبة إلى التجربة البشرية يعدان من اهم الاجهزة المعرفية بل تكاد المعرفة تنحصر بهما بصفة ان ما يسمع به الشخص وما يبصره هما اللذان يمدانه بالخبرة ويشكلان معرفته بما يدور حوله لكن بما ان الله تعالى منزه عن الحدوث فحينئذ يظل التعبير عن السمع والبصر مجازياً بمعنى انه تعالى على معرفة تامة بما يتلفظ به الشخص من كلمات وما يمارسه من حركات عندما يتجه إليه العبد بالدعاء او مطلقاً. وبهذا نستخلص بانه تعالى هو اسمع من سواه من المخلوقات وابصر من سواه بما يدور في خلد عبده من حاجات وطموح

وقوله: "وَأَغْنَيْتَ وَأَفْقَرْتَ، وَأَمَتَّ وَأَحْيَيْتَ ..."

لقد بنيت الإحالة في هذا النص باستخدام النعت المقارن محيلة احالة نصية قبلية ذات مدى بعيد تعود على الله سبحانه وتعالى فكانت هذه الإحالة النواة الرئيسية في النص باستخدام "افعل التفضيل" فقد اسهمت هذه الإحالة في ربط النص واتساقه وانسجام فِقَرِهِ. فقد ربطت بين الغنى والفقر والحياة والموت والضحك والبكاء وكأنها تشير إلى مقارنة مؤكدة بينهم ، لذلك من الواضح ان الله تعالى يعامل عباده بما تتطلبه الحكمة ومع ان كل ما يحدث للعباد انما يتم وفق تكيف خاص من الله تعالى من حيث ما يترتب على سلوك العبد من نتائج دنيوية وكذلك آخروية ، لأن كل ما يحدث للعباد انما يتم من خلال الله تعالى في عطائه غير المحدود الا ان ظاهرة الرزق لها موقع خاص طالما يكرره الشرع متمثلاً في ان الرزق من الله تعالى، وتبعاً لذلك فان السعة في الرزق او القتر او حتى الفقر كل ذلك انما يتم لمصلحة العبد، فمثلاً ان بعض العباد يكون الرزق الواسع من صالحهم والبعض يكون الرزق المحدود من صالحهم، والبعض الثالث يكون الفقر من صالحهم وهكذا.

لهذا ينبغي ان نضع في الاعتبار ان السعة أو القتر أو الفقر قد تكون اختباراً للعبد أي ملاحظة كيفية السلوك الصادر من العبد في حالة ما اذا اغناه الله تعالى أو قتر عليه رزقه أو افقره .

فالعبد هنا في موضع اختبار من الله عز وجل فالنسبة إلى سعة الرزق فان الله تعالى يختبر عبده في حالة ما اذا كان هذا الرزق الواسع قد استثمره العبد في طاعة الله تعالى من انفاق او نحوه أو صرفه في ما لا ينبغي وهكذا بالنسبة إلى الاقتار أو الفقر حيث يختبر الله تعالى عباده في كيفية السلوك الصادر عنهم، من نفهم أن المراد من وراء قوله(ص) (وأغنيت وافقرت) أي ان الله تعالى اغنى بعض عباده وافقر بعضهم تبعاً لما تتطلبه مصلحة العبد حيث ان الفقر هو من صالح البعض وحيث ان الغنى من صالح البعض الآخر، ثم اغناء العبد وافقاره لملاحظة كيفية تصرفه الخاضع لعملية اختبار. وفي قوله(ص) (وامتَّ واحييت) من الواضح ان الله تعالى يحيي ويميت سواءً أكان الاحياء والاماتة للبشر او لسواهم وسواء كان الاحياء او الاماتة كمرة واحدة او عدة مرات . وظاهرة الاحياء والاماتة لها اثرها الخاص في تعميق معرفتنا بالله تعالى لذلك نجد مثلاً ان سورة البقرة وهي اطول سور القرآن الكريم يظل احد محاورها هو الاماتة والاحياء مثل احياء القتيل الذي قتله الاسرائيليون ومثل احياء الطيور الاربعة بعد تقطيعها ومثل احياء الميت بعد مئة عام ومثل امره تعالى للناس فقال لهم الله تعالى: موتوا ثم احياهم، هذه الظواهر وامثلتها عقَّب تعالى عليها قائلاً: « كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " البقرة آية(٧٣) ومثل تعقيبه على إماتة وأحياء الآخرين "إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ " غافر آية (٦١)» اذن قوله(ص) (وامتَّ واحييت) ينطوي على معطيات معرفية تعمق من وعي الانسان بعظمة الله ورحمته.

ــ وقد تضمن الدعاء أنواعٌ اخرى من الإحالة وهي الإحالة الزمانية والمكانية

الإحالة الزمانية: وهي ظروف الزمان وقد تمثلت في الدعاء في ظرفي" قبل وبعد"

الإحالة المكانية: وهي ظروف المكان التي تمثلت في " تحت، وفوق، وبين "

ومما ورد في الدعاء قوله صلّى الله عليه واله وسلم : **"وَالباقِي بَعْدَ فَناءِ الخَلْقِ،"**

ورد في هذا النص ظرف الزمان" بعد" وقد احال احالة نصية قبلية ذات مدى بعيد تعود على الله عزو جل لأن الرسول اراد ان يوضح ان الدعاء مستهدف للفت نظرنا الى أن الله تعالى لم يسبق بعد له ولم يلحق بعد له بل هو الاول بنحو لا يمكن تصور وصفه والآخر أو الباقي دوماً بعد فناء المخلوقات.

فالهدف من الدعاء هو تعميق وعينا بأزلية الله تعالى وهو مفهوم تعميق بلا ادنى شك معرفتنا بعظمة الله تعالى وبمفهوم التوحيد او الوحدانية كما هو واضح. فهذه الإحالة الظرفية قد حققت التماسك المتين بين اجزاء النص .

وقوله: "كُنْتَ قَبْلَ كُلِّ شَيءٍ"

في هذا النص نجد كذلك وسيلة من وسائل الإحالة الرابطة للنص ألا وهي وجود الظرف الزماني المتمثل في " قبل" وقد احال إحالة نصية قبلية ذات مدى بعيد فهي تحيل إلى ذات الله تعالى فقد ربط بين اجزاء النص وحقق ترابطًا قويًا ، فالرسول محمد" صلّى الله عليه واله وسلم" اراد ان يوضح في هذا النص إلى ان الله عزو جل يتحدث عن الله تعالى أولاً عن وجوده القدسي وهو ما عبر عنه بفقرة (كنت قبل كل شيء) ولكن النكتة هي ان الاشارة الى انه تعالى كان قبل كل شيء فهو واضح فان الله تعالى ما دام موجوداً ازلياً قبل كل شيء حينئذ فان كل شيء موجود لابد وان يكون بفعل من الله تعالى فكل شيء هو من الله تعالى وهذا ما يجعل ذهن قارئ الدعاء متداعياً إلى التفكير بعظمة الله تعالى من جانب أو بحضوره تعالى من جانب آخر بحيث لا يمكن ان نتصور أي شيء خارجاً عن فاعليته تعالى وعن معطيات هذه الفاعلية.

ومن ذلك ايضًا ورود الظروف المكانية التي جاءت بصيغة " تحت ، وفوق ، وبينهما " كما في قوله:

"وَاسْتَقَرَّتِ الأَرَضُونَ بِأَوْتادِها فَوْقَ الماءِ، ثُمَّ عَلا رَبُّنا فِي السَّماواتِ العُلى، الرَّحْمنُ عَلى العَرْشِ اسْتَوى، لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ، وَما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّرى"

ففي هذا النص جاءت الظروف المكانية المتمثلة في "فوق، بينهما، تحت" فقد اشارات هذه الظروف إلى احالة نصية قبلية ذات مدى قريب يعود على " الارضون" في قوله فوق الماء، وقد احالت الظروف بينهما ، وتحت" احالة نصية قبلية تعود على السماوات الارضين فحققت بذلك سبكًا نصيًا متينًا قويًا لألفاظ النص .

الخاتمة وأهم النتائج

- أن الهدف من هذا البحث الموسوم ب" الإحالة في دعاء يستشير وأثرها في التماسك النصي" هو تقريب صورة الدعاء وتوضيح معناه واثره في نفس المتلقي والقارئ له ، من خلال الخوض في غمار نصوصه واستكشاف ما فيها من أدوات ربط لذلك فقد بينت "الإحالة" جمالية النصوص وما فيها من ترابط بين أجزائها، وعملت على تنظيم فقراته ووضوح المعنى الكامن فيها ، واخيرًا أضع رحليّ لأستجلي ما قطفته من هذا البحث حتى أقف على مجموعة من النتائج التي يمكن أجمالها على النحو الآتي:

١- كشف البحث عن مفهوم الدعاء بوصفه وسليه مهمة من وسائل ارتباط العبد مع ربه ، كذلك أوضح معنى "يستشير" وسنده .

٢- أبانت الدراسة عن مفهوم الإحالة وعناصرها ، و أنواعها ووسائلها بكونها مصطلح قديم وجديد في الوقت ذاته.

٣- بصورة عامة أسهمت الإحالة في إحكام الألفاظ وتلاحهما وتماسكها مع بعضها البعض بالشكل الذي يجعل قارئ الدعاء يفهم ما ورد فيه من معنى يؤثر فيه .

٣- برزت أهمية الإحالة في ابتعادها عن تكرار التراكيب اللغوية مما يجعل النص واضحًا ومعتدلاً قريبًا للمتلقي .

٤- حفل الدعاء بأنواع متعددة من الإحالة منها الإحالة النصية أو الداخلية والإحالة القبلية ، والإحالة البعدية وكذلك الإحالة المقامية . وكان لهم دورًا بارزًا في سبك النض وتماسكه.

٥- تعددت وسائل الإحالة في الدعاء ما بين إحالات ضميرية، وإشارية وموصولة وكذلك المقارنة . لذلك فقد ساهمت هذه الإحالات في بتحقيق الالتحام والانسجام وتعليق الكلام بعضه مع البعض الاخر بين أجزاء أو فقرات الدعاء .

٦- أغلب الإحالات التي وردت في الدعاء هي إحالات نصيّة قبلية تعود على الله عزو جل ، وقد وردت كذلك إحالات بعدية وكذلك مقامية أو خارجية .

٧- أكثر الإحالات التي وردت في الدعاء كانت إحالات ضميرية ، حيث برز ضميري المخاطب والمتكلم في نصوص متعددة من الدعاء أسهمت في بناء النص وتلاحمه وترابطه وتماسك أجزائه بعضها مع البعض الاخر.

٨ـ كان للضمائر المتصلة حضورًا مكثفًا في الدعاء نحو "الهاء، وناء المتكلمين ،وكاف الخطاب ،وياء المتكلم ...وغيرها" حققت ترابطًا بين أجزاء النصوص من خلال الاختصار وتفادي التكرار في عبارات الدعاء .

٩ـ جاءت الإحالة بأسماء الإشارة وحققت اثرًا بارزًا ومهمًا ،على الرغم من أنها أقل ورودًا في الدعاء مقارنة بالضمائر إلا أنها أعطت ثمرة واضحة لفهم وادراك المعنى المقصود والمشار إليه في الدعاء .

١٠ـ أسهم الربط بالأسماء الموصولة في إبراز النصوص واعطاؤها ترابطًا وتماسكًا وانسجامًا واضحًا بارزًا من خلال وروده في نصوص الدعاء الأمر الذي حقق الغاية من الإحالة به وهي الاختصار.

١١ـ كذلك شكلت الإحالة بأسماء المقارنة بنوعيها " العامة والخاصة" في تحقيق التماسك والانسجام فقد مثلت أنموذجًا مختلفًا راقيًا من نماذج التلاحم والانسجام والتماسك النّصي .

١٢ـ كشفت نصوص الدعاء أنواعًا آخرى من الإحالة وهي " الزمانية والمكانية " وقد تمثلت في " قبل، وبعد، و تحت، وفوق، وبين" فولدت بذلك نصوصًا متينةً قوية لألفاظ الدعاء .

مراجع

أ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري. (٢٠٠٠). ينظر: لسان العرب (المجلد الأولى). بيروت: دار صادر.

أبي عبد الله محمد بن ابي بكر الدمشقي. ينظر: بدائع الفوائد. بيروت- لبنان: دار الكتاب العالمي

الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان . قم: انتشارات اسوه.

ابن طاووس علي بن موسى. (١٤١١). ينظر: مهج الدعوات ومنهج الدعوات. قم : دار الذخائر.

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا.ينظر : معجم مقاييس اللغة. (عبد السلام محمد هارون، المحرر) دار الفكر للطباعة والنشر.

رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي. (١٩٩٦). ينظر: شرح الرضي على الكافية (المجلد الثانية). بنغاري: منشورات جامعة قازيونس.

بروان وبول. (١٩٩٧). ينظر :تحليل الخطاب (المجلد الأولى). (محمد لطفيومنير التركي، المترجمون) الرياض: جامعة الملك سعود.

روبرت دي بوجراند. (١٤١٨- ٢٠٠٩). النص والخطاب والاجراء (المجلد الأولى). (د. تمام حسان، المترجمون) القاهرة: عالم الكتب.

احمد عفيفي. (٢٠٠٥). ينظر: الإحالة في نحو النص ؛ دراسة في الدلالة والوظيفة. القاهرة: كلية دار العلوم.

نائل محمدإسماعيل. (٢٠١١). ينظر: الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني. مجلة جامعة الأزهر.

الأزهر الزناد. (١٩٩٣). ينظر: نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا (المجلد الأولى). بيروت: المركز الثقافي العربي.

عبد الهادي بن ظافر الشهري. (٢٠٠٤). ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية (المجلد الأولى). دار الكتاب الجديد المتحدة..

محمد خطابي. (٢٠٠٦). ينظر: لسانيات النص: مدحل إلى انسجام النص (المجلد الثانية). بيروت: الدار البيضاء.

محمد الأخضر الصبيحي. ينظر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه (الإصدار منشورات الاختلاف). بيروت، الجزائر: الدار العربية.

الهام أو غزالة وعلي خليل. (١٩٩٢). مدخل إلى علم لغة النص (المجلد الأولى). سميراميس: مطبعة دار الكتب.

أ ميلو نزار. (٢٠٠٩). *ينظر:نحو نظرية عربية للإحالة الضميرية- دراسة تأصيلية تداولية*. مجلة علمو إنسانية .

مصطفى حميدة. (١٩٩٧). ينظر : نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية (المجلد الأولى). لونجمان: الشركة المصرية العالمية للنشر.

عباس حسن. (١٤٣١- ٢٠١٠). ينظر: النحو الوافي (المجلد الخامسة عشر). دار المعارف.

نعمان بوقرة. (٢٠٠٩). ينظر: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب " دراسة معجمية (المجلد الأولى). عمان: عالم الكتب الحديث.

.فاضل صالح السامرائي. (٢٠٠٣). ينظر: معاني النحو (المجلد الثانية). القاهرة: شركة العائك لصناعة الكتب

سعيد حسن بحيري. (٢٠٠٥). ينظر: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة. القاهرة: مكتبة الآداب القاهرة .

ابن يعيش ٦٤٣. (٢٠٠١). ينظر: شرح المفصل للزمخشري (المجلد الأولى). (إميل بديع يعقوب، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

غراتشيا غابوتشيان. (١٩٨٠). ينظر: نظرية اداوت التعريف والتنكير ، قضايا النحو العربي. (جعفر دك الباب، المترجمون) دمشق: مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر.

سيبويه. (١٩٨٨). ينظر: الكتاب (المجلد الثالثة). (عبد السلام هارون، المحرر) القاهرة: مكتبة الخناجي.

الدكتور أحمد عفيفي. (٢٠٠١). ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي (المجلد الأولى). القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

محمد الشاوش. (٢٠٠١). ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (المجلد الأولى). تونس: جامعة منوبة / كلية الآداب..

إبراهيم محمود خليل. (٢٠٠٩). *ينظر: في اللسانيات ونحو النص* (المجلد الثانية). الاردن : دار المسيرة للنشر والتوزيع.

.